

## عصر سلاطين المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م:

المماليك: جمع, ومفردها مملوك, أي العبد, وتعني الرقيق. إلا أن هؤلاء الرقيق كانوا من ذوي البشرة البيضاء.

ينتمون في أصلهم إلى بلاد القفقاق شمالي البحر الأسود وإلى بلاد القوقاز قرب بحر قزوين, أيضاً كان يوجد عناصر منهم من أصل مغولي .

امتاز المماليك بحسن الطلعة وجمال الشكل وشدة البأس والشجاعة النادرة. اشتراهم الأيوبيون كعبيد للخدمة العسكرية في الجيش لسببين:

**الأول:** للمشاركة في الحرب ضد الصليبيين

**الثاني:** رغبةً من كل طرف أيوبي في تكوين قوة عسكرية خاصة به تدافع عنه وتحميه, وبشكل خاص بعد أن دخل الأيوبيون في نزاعات داخلية فيما بينهم بعد صلاح الدين.

وشيئاً فشيئاً ازداد عدد هؤلاء المماليك في الجيش الأيوبي وازدادت أهميتهم وسطوتهم ونفوذهم, وترقُّوا في الجيش إلى رتب عالية, وأصبحت كلمتهم المسموعة والنافذة على الأرض لما أحرزوه من انتصارات عظيمة على الصليبيين.

- تولى المماليك الحكم عندما توفي سيدهم الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م, وهو آخر ملوك بني أيوب في مصر. وكانت زوجته (شجر الدر) من المماليك, حيث اشتراها كجارية وأعتقها وتزوجها وعظمت مكانتها لديه, لما اتصفت به من راحة العقل والحزم وسداد الرأي, لدرجة أنها أصبحت تدير أمور المملكة في غيابه.

وعندما توفي زوجها عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م دون وريث يرثه تولت هي الحكم بدعم من كبار قادة الجيش المماليك , ومن بعدها استلم بنو جلدتها الحكم ولقبوا أنفسهم

بلقب (سلطان). واستمروا في حكم مصر والشام والحجاز مدة قرنين ونصف من الزمن.

## أهم ميزات وانجازات عصر سلاطين المماليك:

- ١- القضاء على الحملة الصليبية السابعة التي احتلت ساحل مصر في نهاية حكم الصالح نجم الدين أيوب, وبعدها بأقل من نصف قرن أنهوا الوجود الصليبي من بلاد الشام, حيث أنهم قضوا على الكيانات الصليبية فيها, وكان آخرها القضاء على مملكة عكا الصليبية عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م, على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون, وبذلك أنهوا الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين من الزمن.
- ٢- القضاء على حكم الأيوبيين المتصارعين في بلاد الشام وتوحيدها مع مصر والحجاز
- ٣- إيقاف زحف المغول على العالم الإسلامي بمعركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م بقيادة السلطان قُطز ونائبه بيبرس, وبذلك حطموا أسطورة التفوق المغولي الذي أربع العالم بأسره آنذاك.
- ٤- إحياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد أن قضى عليها المغول في بغداد, إذ نصّب المماليك شخصاً من سلالة بني العباس خليفةً عليهم في القاهرة, واقتصرت سلطة الخليفة على الأمور الدينية فقط.
- ٥- شهد عصر المماليك حركة علمية وتقدماً حضارياً وثقافياً كبيراً, بفضل جهود عدد كبير من العلماء, وبفضل تشجيع المماليك للحركة العلمية وتقديمهم الكثير من الدعم والهبات المالية للهيئات التعليمية.
- ٦- الاعتناء باللغة العربية والحفاظ عليها وتطويرها على الرغم من أن المماليك كانوا يتحدثون اللغة التركية والجركسية وغيرها.

٧- احتكار الوطن العربي لطرق التجارة العالمية آنذاك, حيث استغل المماليك ذلك وفرضوا ضرائب باهظة على السلع التجارية مما أدى إلى تكديس ثروات مالية كبيرة لديهم.

### أهم أسباب سقوط دولة المماليك:

- ١- سوء أحوال البلاد في أواخر عصر المماليك, وانشغالهم في الصراعات على الحكم
- ٢- تحول طرق التجارة العالمية عن البلاد العربية بعد الكشف الجغرافية الأوربية مما أدى إلى ضعف اقتصاد الدولة وفرض ضرائب باهظة على الشعب.
- ٣- الصراعات البحرية التجارية بين دولة المماليك والبرتغاليين الذين أخذوا يهددونها ويعتدون عليها.
- ٤- استياء العلاقات مع العثمانيين مما أدى إلى حروب ومعارك بينهم , أهمها معركتي مرج دابق شمال حلب عام ١٥١٦م ومعركة الريدانية في مصر عام ١٥١٧م حيث تم القضاء على دولة المماليك وحلول العثمانيين محلهم.

## العصر الحديث:

كما تقدم ذكره في المحاضرة الأولى, فإن العصر الحديث يبدأ مع فتح العثمانيين للقسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣م, أو مع اكتشاف الأوربيون لأمريكا والعالم الجديد في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي, أو مع بداية دخول البلاد العربية تحت الحكم العثماني في بداية القرن السادس عشر.

- تميز الوطن العربي في هذا العصر بالتفكك والضعف وانتشار الفقر, ولاسيما بعد تحوُّل طرق التجارة الدولية عنه إلى رأس الرجاء الصالح بسبب الكشف الجغرافية الأوربية والدوران حول افريقيا والوصول للهند وآسيا دون المرور في الوطن العربي.

### أوضاع أقطار الوطن العربي في بداية العصر الحديث:

- العراق: سيطر عليه العثمانيون بعد انتصارهم على الصفويين في معركة جالديران عام ١٥١٤م.
  - بلاد الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية: كانت تحت حكم المماليك, وقد تمكن العثمانيون من السيطرة عليها بعد التغلب على المماليك في معركة مرج دابق ١٥١٦م والريدانية ١٥١٧م.
  - شمال افريقيا: تمكن العثمانيون من السيطرة على ليبيا والجزائر وتونس وعينوا ولاية عليها, بينما بقيت مراكش (المملكة المغربية) خارج السيطرة العثمانية.
- قامت العديد من الثورات وحركات التحرر في البلاد العربية ضد الدولة العثمانية, ومن أهمها:
١. حركة الأمير فخر الدين المعني الثاني في لبنان, وهدفت إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية.
  ٢. حركة الأمير بشير الشهابي في لبنان, وكان يهدف إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية

٣. حركة ضاهر العمر في فلسطين، و علي بك الكبير في مصر، وغيرها.

### أسباب ضعف الدولة العثمانية:

- ١- ضعف السلاطين وعدم قدرتهم على إدارة أمور البلاد.
- ٢- سوء الأحوال الاقتصادية.
- ٣- فساد الجيش الانكشاري.
- ٤- اتساع رقعة الدولة العثمانية وتنوع العناصر القومية فيها.
- ٥- الفساد الاداري.
- ٦- عدم مواكبة الدولة العثمانية للتطورات الحديثة, وبشكل خاص النهضة الأوربية.
- ٧- التآمر الأوربي على الدولة العثمانية

## الأطماع الاستعمارية في الوطن العربي في العصر الحديث

الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام: كان من أهم أسباب الحملة على مصر:

- ١- رغبة فرنسا ببناء امبراطورية لها في الشرق.
- ٢- ضعف الدولة العثمانية.
- ٣- رغبة فرنسا في اجبار بريطانيا على توقيع معاهدة صلح معها بعد حرب المئة عام.

**أحداث الحملة:** دخلت الحملة الفرنسية مدينة القاهرة في عام ١٧٩٨م بقيادة نابليون بونابرت, ولكن أوضاع الحملة أصبحت سيئة بعد تدمير الأسطول الفرنسي من قبل الأسطول الانكليزي.

قرر نابليون السيطرة على سورية لتحقيق حلمه في بناء امبراطورية في الشرق, ولحرمان الانكليز من الموانئ في سورية وليستفيد من أخشابها. وصل نابليون إلى مدينة عكا إلا أنه أخفق في احتلالها بسبب استبسال أهلها في الدفاع عنها, ومساعدة الجيش الانكليزي لأهالي عكا, وتفشي مرض الطاعون بين جنود الحملة الفرنسية .

عاد نابليون سراً إلى فرنسا بسبب الاضرابات الداخلية فيها, وكلف الجنرال كليبر في قيادة الحملة في مصر, وقد ساءت أوضاع الحملة في عهده, واتبع سياسة قمعية ضد سكان مصر, ثم انتهى أجله على يد الشاب السوري سليمان الحلبي, ثم كلف الجنرال مينو بقيادة الحملة وفي عهده تم سحب الحملة الفرنسية من مصر عام ١٨٠١م .

### وصول محمد علي باشا إلى الحكم في مصر

بعد انسحاب الحملة الفرنسية من مصر حدث صراع على السلطة فيها, وتنازعتها عدة أطراف, كان أهمها محمد علي الألباني الأصل, وكان قد قدم إلى مصر مع إحدى الفرق العسكرية العثمانية, وقد تمكن من الاستحواذ على الأمور الداخلية في

مصر وتولى حكمها في عام ١٨٠٥م، وانتصر على خصومة، وتوسّع في شبه الجزيرة العربية وفي بلاد الشام ومصر، وقام بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وعسكرية ضخمة، وعمل على بناء دولة عربية عصرية قوية، إلا أن الدول الأوروبية تحالفت ضده وحالت دون تحقيق رغباته.

كان من أهم خلفاء محمد علي في حكم مصر محمد سعيد باشا، وقد تم في عهده منح المهندس الفرنسي فرديناند دولسبس امتياز قناة السويس في عام ١٨٥٤م، وقد بدأت عملية حفر القناة في عام ١٨٥٩م وانتهت عام ١٨٦٩م في عهد الخديوي اسماعيل.

تميز عهد الخديوي اسماعيل بازدياد النفوذ الانكليزي والفرنسي وتراجع النفوذ العثماني، وظهور أزمة مالية، وتشكيل وزارة مصرية مختلطة (مصرية - بريطانية- فرنسية)، مما أدى إلى قيام ثورات أهمها ثورة أحمد عرابي في عهد الخديوي توفيق الذي اضطر إلى تشكيل حكومة وطنية بزعامة محمود سامي البارودي وكلف أحمد عرابي وزيراً للحربية، ولكن بريطانيا لم ترضى عن ذلك وطالبت الخديوي توفيق بإقالة الوزارة، وعندما تأخر الخديوي توفيق بتنفيذ مطالب بريطانيا وجهت بريطانيا أسطولها لاحتلال مصر وقد تمكنت من دخول مدينة القاهرة بعد معركة التل الكبير في عام ١٨٨٢م

اتبعت بريطانيا سياسة استعمارية قامت على تحويل مصر إلى منطقة لإنتاج مادة القطن الخام، وجعلها سوقاً لتصريف المنتجات البريطانية، وعملت على نشر اللغة والثقافة الانكليزية ومحاربة اللغة والثقافة العربية وفرضت الضرائب على سكانها وسخرت موارد مصر لخدمة جيوشها. ما أدى إلى قيام ثورة سعد زغلول في مصر عام ١٩١٩م، وثورة تموز عام ١٩٥٢م بزعامة جمال عبد الناصر وكان من أهم نتائج هذه الثورة إلغاء النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري وتأميم قناة السويس

وتأميم المصارف والمعامل, مما دفع بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني إلى القيام بعدوان حزيران عام ١٩٦٧م على مصر .

### الاحتلال الأجنبي للمغرب العربي:

- **احتلال الجزائر:** حُكمت الجزائر في العصر العثماني من قبل الداوي, ومع تراجع قوة الدايات , بدأت فرنسا تعمل على احتلال الجزائر وتمكنت من احتلالها عام ١٨٣٠م , فبدأت حركات المقاومة وكان من أبرزها حركة الأمير عبد القادر الجزائري ١٨٣٢-١٨٤٧م الذي كبد فرنسا خسائر فادحة وتمكن من السيطرة على مساحات واسعة, وقد اعترفت له فرنسا بالحكم الذاتي على المناطق الداخلية بموجب معاهدة التافنه عام ١٨٣٧م.

وبسبب عجز فرنسا عن انهاء هذه الثورة عينت الجنرال بيجو قائداً لها في الجزائر وقد اتبع سياسة الأرض المحروقة وكل أنواع العنف والبطش, فاضطر الأمير عبد القادر للانسحاب تدريجياً وتوجه إلى دمشق وبقي فيها حتى وفاته عام ١٨٨٣م وفي عام ١٩٥٤م قامت الثورة الجزائرية الكبرى, وكان من نتائجها الحصول على استقلال الجزائر بموجب اتفاقية ايفان عام ١٩٦٢م

- **احتلال تونس:** كانت تونس تابعة اسماً للدولة العثمانية, ويحكمها البايات, ثم تعرضت تونس للضغوط الفرنسية, واعترف الباي بالاحتلال الفرنسي بموجب معاهدة باردو عام ١٨٨١م . واستمرت تحت الاحتلال حتى عام ١٩٥٦م حيث حصلت تونس على استقلالها .

- **مراكش:** لم تتمكن الدولة العثمانية من فرض سيطرتها على مراكش وذلك بسبب قوة حكامها وبعدها عن مركز الدولة العثمانية. ولكن بسبب اشتداد التنافس بين أفراد الأسرة الحاكمة في المغرب وبسبب الأطماع الاستعمارية فيها قسمت المغرب



بموجب معاهدة الحماية عام ١٩١٢م بين فرنسا واسبانيا , وحصلت فرنسا على معظم أجزاء المغرب , باستثناء الريف الشمالي ومنطقة أفني لإسبانيا, واعتبرت مدينة طنجة دولية .

- بدأت الثورات في المغرب وكان من أهمها ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي الذي كبد الاسبان الخسائر الفادحة ولا سيما بعد معركة الأنوال الشهيرة, ولم يتم القضاء عليها إلا بعد تحالف فرنسا واسبانيا ضدها, واستمرت الثورات حتى حصلت المغرب على استقلالها عام ١٩٥٦م

- **احتلال ليبيا:** رغبت ايطاليا في احتلال ليبيا وذلك بسبب قرب أراضيها منها, ولتكون قاعدة استعمارية لها في شمال افريقيا. وفرضت ايطاليا سيطرتها على ليبيا بعد اتفاق لوزان (أوشي) عام ١٩١٢م مع الدول الأوروبية, وقد اتبعت فيها سياسة قمعية مما أدى إلى قيام الثورات, ومن أبرزها ثورة عمر المختار الذي اتخذ من الجبل الأخضر مركزاً له واتبع أسلوب الكمائن وكبد المحتل الخسائر الفادحة , حتى تمكن الايطاليون من إلقاء القبض عليه وإعدامه شنقاً في عام ١٩٣٠م, وبعد هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية وضعت ليبيا تحت الحكم الأمريكي الانكليزي الفرنسي إلى أن قررت هيئة الأمم المتحدة منح ليبيا استقلالها عام ١٩٤٨م. وأعلن ادريس السنوسي تأسيس المملكة الليبية عام ١٩٥١م, ثم قامت ثورة الفاتح من أيلول بقيادة العقيد معمر القذافي عام ١٩٦٩م حيث أُلغي النظام الملكي وأُعلن الجمهوري.

- **الاحتلال الأجنبي لبلاد الشام والعراق:**

**التنافس الاستعماري في بلاد الشام :** حصلت الدول الاستعمارية على امتيازات متعددة في بلاد الشام أثناء الحكم العثماني أبرزها حق فرنسا في حماية الكاثوليك , وحصلت بريطانيا على حق حماية البروتستانت , كما حصلت روسيا على حق

حماية الأرثوذكس. ومن خلال هذه الامتيازات بدأت هذه الدول بالتدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلاد.

**التنافس الاستعماري على العراق:** حدث التنافس بين بريطانيا وألمانيا، وقد تمكنت بريطانيا من فرض سيطرتها على العراق مع بداية الحرب العالمية الأولى وإلغاء السيطرة العثمانية عنها.

### الثورة العربية الكبرى ١٩١٦م

تباينت ردود الأفعال حول السيطرة الاستعمارية الأوروبية على مناطق الوطن العربي، بينما كانت الدولة العثمانية عاجزة عن الدفاع عن هذه البلاد، وازدادت تدخلات ومخططات الدول الأوروبية فيها، ولم يبق من البلاد العربية تحت سلطة العثمانيين سوى بلاد الشام والحجاز التي ساءت أحوالها كثيراً، وبشكل خاص بعد تعيين جمال باشا السفاح قائداً للجيش العثماني في بلاد الشام وإرهاقه أهالي بلاد الشام بالضرائب وتحميلهم أعباء الحرب، وبعد اخفاق جمال باشا في حملته على الانكليز في مصر أثناء الحرب العالمية الأولى اعتبر سكان بلاد الشام مسؤولين عن خسارته، فقام بأعمال القتل والتعذيب ولا سيما إعدام الأحرار في السادس من أيار عام ١٩١٦م، فكان ذلك الشرارة التي أشعلت الثورة العربية الكبرى، وقد تم اختيار مكة المكرمة لانطلاق الثورة منها لمكانتها عند المسلمين وبعدها عن الدولة العثمانية.

انطلقت قوات الثورة العربية في حزيران ١٩١٦م وتمكنت من تحرير الحجاز ثم بلاد الشام ودخلت قوات الثورة بقيادة فيصل بن الشريف الحسين إلى مدينة دمشق في عام ١٩١٨م، وقد كُلف علي رضا الركابي بتشكيل أول حكومة وطنية في دمشق، كما أرسل فيصل وفداً إلى بيروت لتشكيل هيئة إدارية، ولكن الحلم العربي لم يتحقق وذلك بسبب تأمر القوى الاستعمارية على العرب وتخطيطهم لتقسيم الوطن العربي والسيطرة عليه.

### الاتفاقيات الاستعمارية

#### ١ - اتفاقية سايكس- بيكو (١٦ أيار ١٩١٦م):

سميت بهذا الاسم نسبة إلى الدبلوماسي الفرنسي مارك سايكس والانكليزي جورج بيكو، وقد قسمت هذه الاتفاقية بلاد الشام والعراق إلى عدة مناطق:

- **المنطقة الزرقاء:** تشمل الساحل السوري ومركزه بيروت، ويكون تحت النفوذ الفرنسي.
  - **المنطقة الحمراء:** وتشمل جنوب ووسط العراق (البصرة - بغداد) ويكون تحت النفوذ البريطاني.
  - **المنطقة السمرق:** وتشمل فلسطين ومركزها القدس تحت وصاية دولية.
  - **المنطقة أ:** وتشمل الموصل وما بقي من سوريا الداخلية.
  - **المنطقة ب :** وتشمل شرقي نهر الأردن وما بقي من العراق.
- وتقام إدارة عربية في المنطقة أ و ب، وعلى أن يكون لفرنسا أفضلية في الحصول على المشاريع وتقديم القروض والمستشارين في المنطقة أ، ويكون لبريطانيا الأفضلية في المنطقة ب.

٢ - **وعد بلفور:** هو من أخطر الاتفاقيات الاستعمارية على الوطن العربي، أصدره بلفور وزير خارجية بريطانيا لليهود عام ١٩١٧، وينص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك لأن بريطانيا وجدت في الصهيونية حليفاً لها يضمن مصالحها في المنطقة.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى تداعت الدول المنتصرة إلى عقد مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م، وبموجبه وُضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والعراق وشرقي الأردن تحت الانتداب البريطاني بما فيها فلسطين.

دخلت القوات الفرنسية مدينة دمشق بعد معركة ميسلون البطولية والتي قادها الشهيد يوسف العظمة على الرغم من التفوق الفرنسي في العدة والعتاد وكان ذلك في ٢٥ تموز ١٩٢٠م.

وأعقب هذا الاحتلال معارك وثورات متعددة من أهمها:

- ثورة الشمال بقيادة ابراهيم هنانو ومن أهم المعارك التي قادها معركة إدلب وجسر الشغور وحارم .
- ثورة الساحل بقيادة الشيخ صالح العلي التي انطلقت من الجبال الساحلية ومن أهم معاركها معركة وادي ورور .
- ومن أشهر الثورات في سوريا الثورة السورية الكبرى التي انطلقت من جبل العرب بقيادة سلطان باشا الأطرش وذلك في عام ١٩٢٥م وعمّت جميع أنحاء سوريا.

استمرت الثورات السورية في كافة المناطق حتى تمكنت سورية من الحصول على استقلالها وذلك في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦م.